المناهج العلمية (السيرة والسلوك)

الأُتـرُجّةُ البَهِيّةُ

بشرح

الأُرْجُوزَةِ المِيئِيّةِ فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ البَرِيّةِ

ويليه

الأَمَالِيُّ الزَّاخِرَةُ

بشرح

مَنْظُومَةِ السَيرِ إِلى اللّهِ وَالدّارِ الآخِرَةِ

تأليف :
د. طالب بن عمر الكثيري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشروح الميسّرة

للمنظومات العلمية

((السيرة والسلوك))

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من إصدارات مؤسسة أهل القرآن – المناهج العلمية

الشروح الميسرة للمنظومات العلمية (السيرة والسلوك)

تأليف

د. طالب بن عمر الكثيري

تنسيق واخراج الكتاب

صالح عوض بن سلوم

تنفيذ طباعي

مطبعة وحدين الحديثة للأوفست

حضرموت – المكلا – هاتف: ٣١٦٦١٥

جميع حقوق الطبع

ممنوحة لكل مسلم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشروح الميسّرة للمنظومات العلمية (السيرة والسلوك ١-٤) :

الأُتـرُجّةُ البَهِيّةُ

بشرح

الأُرْجُوزَةِ المِيئِيّةِ فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ البَرِيّةِ

ويليه: **الأَمَالِيُّ الزَّاخِرَةُ**

بشرح

مَنْظُومَةِ السَيرِ إِلى اللّهِ وَالدّارِ الآخِرَةِ

تأليف:

د. طالب بن عمر الكثيري

www.talebkh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وبعد:

فإن نشر العلم وبذله من أجلّ القربات إلى الله تعالى، متى ما صحّت بذلك النية، وخير العلم ما طلبه المتعلم للعمل به؛ اعتقادًا، أو تفقهًا، أو سلوكًا، أو تخلقًا؛ لذا جاءت هذه (**الشروح الميسّرة للمنظومات العلمية**)؛ لتثري هذا الجانب، وقد حرصتُ فيها على:

- سهولة العبارة، وتوضيح مواضع الإبهام والإشكال .
- مراعاة سن النشء؛ حديثي العهد بالطلب، وحسن تصوير المسائل، وتقرير أحكامها لهم .
- تدعيمها بأدلة الكتاب والسنة الصحيحة، والنقولات المحررة لأهل العلم الراسخين، والقواعد العلمية التي تؤصل الطالب في مبتدأ الطلب، وتضبط له الفهم .

والله اسأل أن يتقبلها مني سبحانه، وأن ينفع بها أهل الإسلام عامة، وطلبة العلم منهم خاصة؛ إنه كريم مجيب .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه ذي المغفرة:

طالب بن عمر بن حيدرة

غفر الله له، ولوالديه، وللمسلمين في الدنيا والآخرة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأُترجّة البهية
بشرح الأرجُوزة الميئيّة
في ذكر حال أشرف البريّة

نظم القاضي علي بن علي بن أبي العز الحنفي

شرحها :

د. طالب بن عمر الكثيري

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مُقَدِّمَة

١- الحَمْدُ للهِ القديرِ الباري ثم صلاتُهُ على المُختارِ
٢- وبعدُ هاكَ سيرةَ الرسولِ منظومةً موجزةَ الفُصولِ

- هذه المنظومة سميت "المنظومة المختصرة في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام"، وسماها ناظمها: "الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية"، كما في البيت الأخير منها .

وناظمها هو القاضي صدر الدين أبو الحسن علي بن علي الدمشقي الحنفي، المعروف بابن أبي العز، ولد في دمشق في ٢٢ من ذي الحجة سنة ٧٣١هـ، وتوفي بها في ذي القعدة سنة ٧٩٢هـ، ومن أشهر مصنفاته: شرح العقيدة الطحاوية .

وقد وصف الناظم منظومته بأنها موجزة الفصول، وقد اشتملت على بيان سيرة الرسول ﷺ؛ مقسمة حوادثها على السنين .

وتبرز أهمية دراسة السيرة النبوية في جوانب، منها :

١- غرس الاقتداء بالرسول ﷺ في هديه، وأخلاقه، ودعوته، وتعامله مع أهله، وأصحابه، وأعدائه .

٢- معرفة ما مرّ بالرسول ﷺ من حوادث تساعد على فهم القرآن الكريم، والسنة النبوية، واستنباط الأحكام الفقهية .

الدرس الأول:

٣- مولدُهُ في عامِ الفَضيلِ ... ربيعٍ الأول عام الفيلِ
٤- لكنّها المشهورُ ثاني عشْرِهِ ... في يومِ الاثنينِ طُلوع فَجْرِهِ
٥- ووافقَ العشرين من نيسانَ ... وقبلَهُ حِيْنُ أبيهِ حَانَ
٦- وبعدَ عامينِ غَدا فَطِيما ... جاءت به مُرضِعُهُ سَلِيما
٧- حليمةُ لأُمِّهِ وعَادت ... بهِ لأهلها كما أرادت
٨- فبعدَ شهرينِ انشقاقُ بطنِهِ ... وقيلَ بعدَ أربعٍ من سِنِّهِ
٩- وبعدَ ستٍّ مع شهرٍ جاءِ ... وفاةُ أُمِّهِ على الأبواءِ
١٠- وجدُّهُ للأبِ عبدُ المطَّلِبْ ... بعدَ ثمانٍ ماتَ من غيرِ كَذِبْ
١١- ثمَّ أبو طالبٍ العمُّ كفَلْ ... خدمتَهُ

بدأ الناظم – رحمه الله تعالى – بذكر مولد النبي ﷺ، وأنه كان في مطلع فجر يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول عام الفيل، والمشهور أنه في الثاني عشر منه، الموافق العشرين من شهر نيسان (إبريل) سنة ٥٧١ بالميلادي، وكان مولده في دار أبي طالب بشعب بني هاشم بمكة.

ونسب النبي ﷺ: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مُناف بن قُصي بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن الياس بن مُضر بن نِزار بن معدّ بن عدنان .

وأمه هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب .

ثم ذكر الناظم حوادث حدثت في طفولة النبي ﷺ:

١- وفاة أبيه عبد الله قبل ولادته على الصحيح، وقد ترك له خمسة جمال، وقطعة من الغنم، وجارية حبشية تكنى أم أيمن، كانت هي حاضنة الرسول ﷺ .

٢- وبعد ولادته أرضعته أمه، ثم أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب، ثم مرضعته حليمة السعدية لمدة سنتين، ثم عادت تستأذن أمه في استمرار بقائه ببادية بني سعد؛ فأذنت أمه، وزوج حليمة هو الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشة، وله من الأولاد عبد الله وأنيسة وجذامة (الشيماء) .

٣- ثم كانت حادثة شق صدر النبي ﷺ؛ إذ نزل ملكان من السماء، فشقا صدر النبي ﷺ، وغسلا قلبه في طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعادوه كما كان، وعمره ﷺ سنتان وشهران، وقيل: أربع سنوات، وهو قول الأكثر من أهل السير .

٤- ثم ذهبت به أمه إلى أخواله من بني عدي بن النجار بالمدينة، وتوفيت بالأبواء، وعمره ست سنوات وشهر .

٥- ثم كفله جده عبد المطلب - بعد أن جاء به من عند أخواله - حتى توفي، وعمر النبي ﷺ ثماني سنوات .

٦- وانتقل النبي ﷺ بعد موت جده عبد المطلب إلى كفالة عمه أبي طالب، وكان أبو طالب مقلّاً؛ لذا عمل النبي ﷺ منذ صغره في رعي الغنم؛ كسائر الأنبياء من قبله .

الدرس الثاني:

ثمَّ إلى الشامِ رَحَلْ

١٢- وذاكَ بعدَ عامِ اثني عَشَر ... وكانَ من أَمْرٍ بَحِيرًا ما اشتهَر

١٣- وسارَ نحوَ الشامِ أشرفُ الورى ... في عامِ خمسةٍ وعشرِينَ اذكرا

١٤- لأمِّنَا خديجةَ مُتَّجِرا ... وعادَ فيه رابِحًا مُستبْشِرا

١٥- فكانَ فيهِ عَقدُه عليها ... وبعدَهُ إفضاؤه إليها

١٦- وولدُهُ منها خَلا إبراهيم ... فالأول القاسمُ حائزُ التَّكريم

١٧- وزينبُ رقيةُ وفاطمةْ ... وأمُّ كُلثومٍ لهُنَّ خاتِمَة

١٨- والطَّاهرُ الطيِّبُ عبدُ اللهِ ... وقيلَ كلٌّ اسمٍ لفردٍ زاهِي

١٩- والكلُّ في حياتِهِ ذاقوا الحِمَامْ ... وبعدَه فاطمةُ بنصفِ عامْ

٢٠- وبعدَ خمسٍ وثلاثينَ حَضَرْ ... بُنيانَ بيْتِ اللهِ لمَّا أَنْدَثَرْ

٢١- وحكَّمُوهُ ورَضُوا بما حَكَمْ ... في وضعِ ذاكَ الحَجرِ الأَسْودِ ثَمْ

ثم انتقل الناظم يذكر حوادث حدثت في شباب النبي ﷺ، ومنها :

١- سفر النبي ﷺ إلى الشام مع عمه في تجارته، وكان عمره عليه الصلاة والسلام اثني عشر سنة، وفي طريقه إلى الشام لقيه بحيرى الراهب، وبشّر عمه بنبوة النبي ﷺ بعد ما رأى علامات النبوة عليه .

٢- وحضر النبي ﷺ حلف المطيبين، وعمره عشرون سنة، وفيه تعاهد بنو هاشم وبنو زهرة وبنو أمية وبنو مخزوم في دار عبد الله بن جدعان على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، وردّ الحقوق لأهلها.

٣- ثم سافر مرة أخرى للشام متاجرًا بمال السيدة خديجة، وعمره خمس وعشرون سنة، وقد بارك الله له في تجارته؛ فربح مالاً كثيرًا .

٤- وفي نفس العام تزوج النبي ﷺ بسيدتنا خديجة، بعد ما رأت عظيم أخلاقه وأمانته، وقد أنجبت له رضي الله عنها جميع أولاده: القاسم، وعبد الله ولقب بالطيب والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، عدا إبراهيم

الذي وُلد للرسول ﷺ من أمته مارية، ومات كل أولاد الرسول ﷺ في حياته، عدا فاطمة التي ماتت بعده بستة أشهر .

٥- وحضر النبي ﷺ بناء الكعبة وعمره خمس وثلاثون، وقد اختصمت قريش من الذي يضع الحجر الأسود في مكانه، وحكّموا النبي ﷺ لما علِموا من أمانته وصدقه، فقضى أن يُوضع الحجر في ثوب، وترفع كل قبيلة طرفًا منه، فلما بلغوا موضعه، وضعه النبي ﷺ بيده الشريفة في مكانه .

٦- وقد أكرم الله نبيه ﷺ فكان بعيدًا عن دنس الجاهلية، فكان لا يأكل مما ذُبح على النصب، ولا يمس شيئًا من أصنام قريش، بل وكان يقف بعرفة حاجًا على إرث أبيه إبراهيم عليه السلام؛ خلافًا لقريش التي كانت تقف بمزدلفة .

٧- وكان النبي ﷺ حسن الأخلاق، كريم الأعمال؛ يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكلّ، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، رواه البخاري .

الدرس الثالث:

٢٢- وبعدَ عامِ أربعينَ أُرسِلا ... في يومِ الاثنينِ يقيناً فانقُلا

٢٣- في رمضانَ أو ربيعِ الأولِ ... وسورةُ اقرأ أولُ المَنزَّلِ

٢٤- ثم الوُضوءَ والصلاةَ علَّمَهْ ... جبريلُ وهيَ ركعتانِ مُحكَمةْ

٢٥- ثمَّ مضت عشْرونَ يومًا كامِلَةْ ... فرَمتِ الجنَّ نجومٌ هائلَةْ

٢٦- ثمّ دعا في أربعِ الأعوامِ ... بالأمْرِ جَهْرةً إلى الإسلامِ

٢٧- وأربعٌ من النِّسا واثنَا عَشَرْ ... من الرِّجالِ الصَّحْبِ كلٌّ قد هَجَرْ

٢٨- إلى بلادِ الحُبْشِ في خامسِ عامْ ... وفيه عادوا ثم عادوا لا مَلامْ

٢٩- ثلاثةٌ هم وثمانونَ رجلْ ... ومعهم جماعةٌ حتى كَمُلْ

٣٠- وهنَّ عَشْرٌ وثمان ثم قدْ ... أسلمَ في السادسِ حمزةُ الأسَدْ

ثم أشار الناظم – رحمه الله- لبداية رسالة النبي ﷺ ودعوته المكية:

١- فقبل تمام الأربعين كان النبي ﷺ يسمع سلام الحجر عليه بالنبوة، ويرى الرؤيا الصادقة، ثم حُبب إليه التعبد في الخلاء، فكان يتعبد في غار حراء.

٢- ثم بُعث النبي ﷺ، وعمره أربعون سنة، في يوم الاثنين من شهر رمضان على المشهور، وقيل: من شهر ربيع الأول .

وكان أول ما أُنزل عليه الآيات الخمس الأول من سورة اقرأ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾، ثم فتر الوحي، حتى جاء الأمر بالتبليغ في أول سورة المدثر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾.

٣- ودعا النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة، بدأت بنبوته، ثم دعوته لعشيرته الأقربين، ثم لقريش، ثم للعرب، ثم لجميع العالمين من الجنّ والإنس، وقد انقسمت دعوته في مكة إلى قسمين :

أ- الدعوة السرية : واستمرت ثلاث سنوات، وكان يأمر أصحابه ﷺ فيها بالوضوء وصلاة ركعتين عند طلوع الشمس، وركعتين عند غروبها، مستقبلي الكعبة وبيت المقدس، وكان يتنزل عليه القرآن، وكُثر فيها رمي الجنّ (الذين يسترقون السمع) بالشهب، فبحث نفرٌ من الجنّ عن السبب، فوجدوا الرسول ﷺ يقرأ القرآن في صلاة الفجر مع أصحابه، فاستمعوا للقرآن، ثم آمنوا به .

- وكان من أوائل من أسلم: خديجة، وعلي، وزيد بن حارثة، وبنات النبي ﷺ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم جميعًا .

ب- الدعوة الجهرية : وببداية السنة الرابعة جهر النبي ﷺ بالدعوة إلى الإسلام، لما نزلت عليه: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾، فصعد الصفا، ودعا قريشًا للإسلام، فأعلنت قريش عداوتها للإسلام، واشتدّ إيذاؤها للنبي ﷺ ولأصحابه.

٤- وفي السنة الخامسة اتخذ النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم على الصفا مقرًا لدعوته .

٥- ثم لما اشتدّ أذى قريش، أذن النبي ﷺ للمستضعفين بالهجرة الأولى إلى الحبشة، وذلك في رجب من السنة الخامسة من البعثة، وكانوا اثني عشر رجل، وأربع نسوة، ولما أُشيع أن قريشًا أسلمت، رجعوا إلى مكة، فوجدوا

الأمر خلاف ذلك، فهاجروا الهجرة الثانية للحبشة، وانضم إليهم جمعٌ من المسلمين المستضعفين، حتى بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً، وثماني عشرة امرأة .

٦- ومع شدة إيذاء المشركين للرسول ﷺ وصحابته، نصر الله الإسلام بإسلام أسد الله وأسد رسوله ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وذلك في أواخر السنة السادسة من البعثة، ثم أسلم بعد حمزة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقوي أمر الإسلام في مكة .

الدرس الرابع:

٣١- وبعدَ تسعٍ من سِنِيْ رِسالتِهْ ... ماتَ أَبو طالبٍ ذو كفالتِهْ

٣٢- وبعدَه خديجةُ تُوُفِّيَتْ ... من بعدِ أيامٍ ثلاثةٍ مضتْ

٣٣- وبعدَ خمسينَ ورُبعٍ أسلما ... جنُّ نُصَيْبِيْنَ وعادُوا فاعلما

٣٤- ثمَّ على سَوْدةَ أمضى عَقْدَهُ ... في رمضانَ ثمَّ كانَ بعدَه

٣٥- عَقْدُ ابنةِ الصدِّيقِ في شوالِ ... وبعدَ خمسينَ وعامٍ تَالِ

٣٦- أُسرِيْ بهِ والصلواتُ فُرِضتْ ... خمسًا بخمسينَ كما قد حُفِظتْ

٣٧- والبيعةُ الأولى مع اثني عشرَا ... من أهلِ طَيْبةَ كما قد ذُكِرا

٣٨- وبعدَ ثنتينِ وخمسينَ أتى ... سبعونَ في الموسمِ هذا ثَبَتَا

٣٩- من طَيْبَةَ فبايعوا ثمَّ هَجَرْ ... مكةَ يومَ اثنين من شهرِ صفرْ

٤٠- فجاءَ طيبةَ الرِّضا يقينا ... إذ كمَّلَ الثلاثَ والخمسينا

٤١- في يومِ الاثنينِ ودامَ فيها ... عشرَ سنينَ كمُلت نحكيها

ذكر الناظم في هذه الأبيات جملةً من الحوادث التي حدثت ما بين الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة :

١- فقد اشتد أذى قريش للنبي ﷺ حتى قاطعوه، وحاصروه وأصحابه في شعب أبي طالب، سنتين أو ثلاث سنوات أكلوا فيها ورق الشجر من الجوع.

٢- وبعد خروج النبي ﷺ وأصحابه ومن ناصره من قومه من الشعب في محرم من السنة العاشرة -بعد مضي تسع سنوات من البعثة- توفي عم النبي ﷺ أبو طالب الذي كان يحمي الرسول ﷺ، وبعد وفاته بثلاثة أيام توفيت زوج النبي ﷺ خديجة التي كانت تهون عليه همومه؛ فحزن النبي ﷺ حزنًا عظيمًا، وسُمي هذا العام عام الحزن.

٣- ثم خرج النبي ﷺ في شوال من السنة العاشرة -ومعه مولاه زيد بن حارثة- إلى الطائف داعيًا لهم، فلم يقبلوا دعوته، بل طردوه وآذوه، فرجع إلى مكة حزينًا، بعد أن فقد ناصره بمكة، ولم يجد من ينصره بالطائف، ومع صبر النبي ﷺ العظيم على تبليغ هذا الدين، امتنّ الله عليه بالعديد من المبشرات:

أ- إسلام طائفة من الجنّ من جنّ نصيبين، فوجد النبي ﷺ أنصارًا جددًا يقبلون هذا الدين من عالم الجنّ .

ب- زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها في رمضان من السنة العاشرة، ثم عقد النبي ﷺ على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في شوال من نفس السنة .

ج- وبعد عشرين يومًا من شهر ذي القعدة من السنة الحادية عشرة، وقيل: في السنة الثالثة عشرة، أُسري بالرسول ﷺ إلى بيت المقدس، وصلى إمامًا بالأنبياء، ثم عُرج به إلى السماء، وفُرضت عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خُففت إلى خمسٍ في العمل، ولها أجر خمسين صلاة.

د- وقد استمر النبي ﷺ في عرض دعوته على القبائل في مواسم العمرة والحج، حتى التقى ﷺ ببعض أهل المدينة، وكان عددهم اثني عشر رجلاً، وبايعهم بيعة العقبة الأولى على الإسلام، في حج السنة الثانية عشرة من البعثة، ورجعوا إلى المدينة، ومعهم مصعب بن عمير ﷺ معلمًا وداعيًا، ثم عادوا في موسم حج السنة الثالثة عشرة، وهم سبعون رجلاً، وبايعوا الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية على نصرة الإسلام، والدفاع عن الرسول ﷺ .

ه- ثم هاجر النبي ﷺ إلى المدينة في يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر صفر من السنة الرابعة عشرة من البعثة، وكان في صحبته أبو بكر الصديق ﷺ، وسار الرسول ﷺ في طريق هجرته مستخفيًا من قريش، والله يحرسه ويحميه، حتى وصل إلى المدينة في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، وعمره ثلاث وخمسون، ومكث فيها عشر سنين، إلى أن توفي، وعمره ثلاث وستون سنة .

الدرس الخامس:

٤٢- أكملَ في الأولى صلاةَ الحَضَرِ ... من بعدِ ما جمّع فاسمعْ خَبَرِي

٤٣- ثمَّ بَنى المسجدَ في قُباءِ ... ومسجدَ المدينةِ الغرّاءِ

٤٤- ثمّ بنى من حولهِ مّساكنَهْ ... ثمّ أتى من بعدُ في هذي السَّنةُ

٤٥- أقلُّ من نصفِ الذين سافروا ... إلى بلادِ الحُبْشِ حين هاجروا

٤٦- وفيهِ آخى أشرفُ الأخيارِ ... بين المهاجرينَ والأنصارِ

٤٧- ثم بنى بابنةِ خيرِ صحبِهِ ... وشُرع الأذانُ فاقتدِ بهِ

ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أحداث السنة الأولى للهجرة :

١- إكمال صلاة الحضر في الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات، وبقيت في حال السفر على ما كانت ركعتين .

٢- وفيها أقام النبي ﷺ صلاة الجمعة في مسجده، وكان قبل قد جمّع في ديار عوف بن سالم أول وصوله للمدينة .

٣- ثم سعى النبي ﷺ لتأسيس دولة الإسلام الأولى، وبدأ ببناء المسجد في قباء، وفي مدينته، وبنى حوله بيته وغرف نسائه .

٤- وقدم في هذه السنة بعض الذين هاجروا إلى الحبشة، بعد ما علموا بهجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

٥- ثم سعى النبي ﷺ في تمكين دولة الإسلام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

٦- ثم دخل النبي ﷺ على عائشة بنت أبي بكر الصديق، وعمرها تسع سنوات، وكان قد عقد عليها قبل ثلاث سنوات .

٧- وشُرع الأذان للصلوات في هذه السنة، بعد رؤيا رآها أحد الصحابة، وكانوا قبل يجتمعون للصلاة بدون أذان ولا نداء .

الدرس السادس:

٤٨- وغَزْوةُ الأبواءِ بعدُ في صَفَرْ ... هذا وفي الثانيةِ الغزوُ اشتَهَرْ

٤٩- إلى بُواطَ ثم بدرٍ ووَجَبْ ... تحوُّلُ القِبْلَةِ في نصفِ رَجَبْ

٥٠- مِنْ بَعْدُ ذا العُشَيْرَ يا إخوانِي ... وفَرْضُ شَهرِ الصومِ في شَعبانِ

٥١- والغزوةُ الكُبرى التي ببدرِ ... في الصَّومِ في سابعِ عَشْرِ الشَّهرِ

٥٢- ووَجَبتْ فيهِ زكاةُ الفِطْرِ ... من بعدِ بدرٍ بليالٍ عَشْرِ

٥٣- وفي زكاةِ المالِ خُلْفٌ فادْرِ ... وماتتِ ابْنةُ النَّبيِّ البَرِّ

٥٤- رُقَيَّةُ قبلَ رُجوعِ السَّفْرِ ... زوجةُ عثمانَ، وعُرْسُ الطُّهْرِ

٥٥- فاطمةُ على عَلِيٍّ القَدْرِ ... وأسلمَ العباسُ بعدَ الأَسْرِ

٥٦- وقَيْنُقاعَ غزوُهُم في الإثْرِ ... بعدَ ضَحَاءِ يومِ عيدِ النَّحرِ

٥٧- وغزوةُ السَّويقِ ثم قَرْقَرَة

ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أحداث السنة الثانية للهجرة:

١- بدأ النبي ﷺ أول غزواته في هذه السنة، وقد شرع الله تعالى فيها الجهاد لنشر الإسلام وحماية المستضعفين في الأرض، وقد قاد النبي ﷺ سبعًا وعشرين غزوة، وأرسل ثمان وثلاثين سرية، وكانت أول غزوة غزاها النبي ﷺ هي غزوة الأبواء، وتسمى أيضًا غزوة ودّان، وكانت في صفر من السنة الثانية، ولم يحدث فيها قتال، بل تمت موادعة قبيلة بني ضمرة .

٢- ثم في ربيعٍ الثاني كانت غزوة بواط؛ لاعتراض قافلة تجارية قرشية، تهديدًا لاقتصاد قريش، واستردادًا لبعض أموال المهاجرين، ثم كانت غزوة العشيرة في جمادى الأولى، ووادع فيها النبي ﷺ قبيلة بني مدلج، ولم يقع فيها قتال، لكن نهب كرز بن جابر بعض إبل المسلمين، فطارده النبي ﷺ إلى نواحي بدر، وكانت غزوة بدر الأولى في جمادى الآخرة.

٣-ثم أمر الله تعالى بتحويل القبلة؛ حيث كان المسلمون في المدينة يستقبلون في صلاتهم بيت المقدس، وظلوا على ذلك ستة عشر شهرًا، ثم أمرهم الله تعالى في منتصف شهر رجب من السنة الثانية باستقبال الكعبة المشرفة؛ قبلة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام .

٤-ثم نسخ الله تعالى وجوب صوم عاشوراء، وفرض على المسلمين صوم رمضان، في شعبان من هذه السنة؛ وصام النبي ﷺ تسعة أشهر من رمضان.

٥-وفي السابع عشر من أول رمضان صامه المسلمون (٢/٩/١٧هـ)، وقعت غزوة بدر الكبرى - غزوة الفرقان التي ذكرها الله في سورة الأنفال -، إثر طلب المسلمين قافلة أبي سفيان، وقد التقى تسعة عشر وثلاثمائة من المسلمين بألفٍ من مشركي قريش، وأيّد الله تعالى المسلمين بالملائكة، ونصرهم على عدوهم .

٦- ثم فُرِضت زكاة الفطر طُهرة للصائمين من اللغو والرفث، وطُعمة للمساكين في السابع والعشرين من شهر رمضان؛ ليتشارك المسلمون في طعامهم فرحًا بعيد الفطر، وخرج النبي ﷺ إلى المصلى، وصلى مع الصحابة ﷺ أول صلاة للعيد .

٧-واُختلف في وقت فرض زكاة المال، فقيل: فرضت مع زكاة الفطر، والصواب أنها فرضت مجملة في العهد المكي، ثم فُصّلت أحكامها في السنة الثانية.

٨-ولما رجع النبي ﷺ من غزوة بدر، أُخبر بوفاة ابنته رقية رضي الله عنها - زوج عثمان بن عفان ﷺ-، وكانت هكذا حياة النبي ﷺ بين الأمل في عزة الإسلام، والألم بمصائب الدنيا .

٩-وزوّج النبي ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها بابن عمها علي بن أبي طالب ﷺ، و لم يكن لعلي ﷺ مال، فأمهرها درعه التي كان يقاتل بها.

١٠- واستشهد من المسلمين يوم بدر أربعة عشر رجلاً، وقُتل من المشركين سبعون، وأُسر منهم سبعون، وكان من بين الأسرى عمّ النبي ﷺ العباس رضي الله عنه، وقد أخبر النبي ﷺ بإسلامه، وأنه أُكره على الخروج إلى بدر، لكن النبي ﷺ أخذ منه الفدية كغيره من أسرى بدر .

١١- وبعد غزوة بدر ظهر النفاق وحسد اليهود، وانطلق النبي ﷺ ضحى يوم عيد الأضحى - وقيل: في منتصف شوال- لغزو يهود بني قينقاع، بعد أن آذوا مسلِمةً دخلت سوقهم، وقتلوا المسلم الذي دافع عنها، فحاصرهم النبي ﷺ خمس عشرة ليلة، ثم أجلاهم من المدينة؛ لنقضهم عهد التعايش السلمي مع المسلمين، وإخلالهم بالأمن داخل المدينة .

١٢- وفي آخر هذه السنة هجم أبو سفيان بمائتي فارس على أطراف المدينة، وقتلوا رجلين، ثم فروا إلى مكة، ولحقهم المسلمون، وعادوا بالسويق الذي ألقاه المشركون تخففًا من أحمالهم؛ فسميت بغزوة السويق، ثم كانت غزوة قَرقَرة الكُدْر، ولقي فيها النبي ﷺ بني سليم وغطفان الذين تجمعوا دفاعًا عن تجارة قريش، لكنهم فروا، وغنم النبي ﷺ منهم خمسمائة بعير .

الدرس السابع:

والغزوُ في الثالثةِ المشتهرةْ

٥٨- في غَطفانَ وبني سُلَيْمِ ... وأمُّ كلثومَ ابنةُ الكريمِ

٥٩- زوّجَ عثمان بها وخَصَّهْ ... ثمَّ تزوَّجَ النبيُّ حَفصَةْ

٦٠- وزينبَ ثم غزا إلى أُحُدْ ... في شهرِ شوالَ وحمراءِ الأَسدْ

٦١- فالخمْرُ حُرِّمتْ يقينًا فاسمعنْ ... هذا وفيها وُلِدَ السِّبْطُ الحَسَنْ

ثم ذكر الناظم رحمه الله أحداث السنة الثالثة للهجرة :

١- ففي محرم من السنة الثالثة غزا النبي ﷺ غطفان وبني سليم، لما تجمعوا لقتاله، وكانت غزوة ذي أمر، لكنهم فروا من أمامه، و لم يحدث قتال .

٢- ثم زوّج النبي ﷺ ابنته أم كلثوم رضي الله عنها عثمان رضي الله عنه؛ فلقب بذي النورين؛ لأنه لم يتزوج أحد ابنتي نبي إلا عثمان رضي الله عنه .

٣- ثم تزوج النبي ﷺ حفصة بنت عمر رضي الله عنها، بعد أن توفي زوجها، ثم تزوج النبي ﷺ في رمضان زينب بنت خزيمة رضي الله عنها، التي كانت تلقب بأم المساكين، بعد أن قتل زوجها عبد الله بن جحش يوم أحد .

٤- ثم أراد المشركون الثأر لقتالهم ببدر، وتأمين طريق قوافلهم إلى الشام، فخرجوا في ثلاثة آلاف، في شهر شوال من هذه السنة، (١٥/١٠/٣هـ)، وكانت غزوة أحد – التي جاء ذكر أحداثها في سورة آل عمران – وكان عدد المسلمين فيها سبعمائة، بعد أن رجع ابن أبي سلول رأس المنافقين بثلث الجيش، وقد استشهد في هذه الغزوة سبعون من خيار الصحابة رضي الله عنهم .

٥- ثم أُخبر النبي ﷺ بأن قريشًا اجتمعت بحمراء الأسد؛ لكي تكرّ على المسلمين وهم في جراحهم، فتقضي عليهم، فأمر النبي ﷺ صحابته الكرام أن

يسيروا للقاء المشركين في حمراء الأسد، وما تأخر المسلمون عن إجابة أمر النبي ﷺ، وبقي في حمراء الأسد ثلاثة أيام، لكن المشركين فروا .

٦- وحرمت الخمر في هذه السنة، وقيل: في ربيع الأول من السنة الرابعة.

٧- وفيها كذلك وُلد لعلي بن أبي طالب من فاطمة بنت النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما، سيد شباب أهل الجنة، وقيل: في شعبان من السنة الرابعة .

الدرس الثامن:

٦٢- وكانَ في الرابعةِ الغزوُ إلى ... بني النَّضيرِ في ربيعٍ أوَّلا

٦٣- وبعدُ موتُ زينبَ المقدَّمة[1] ... وبعدَهُ نِكاحُ أمِّ سَلَمَةْ

٦٤- وبنتِ جَحْشٍ ثم بَدرُ الموعِدِ ... وبعدَها الأحزابُ فاسمَعْ واعْدُدِ

٦٥- ثم بني قُريظةَ وفيهما ... خُلْفٌ وفي ذاتِ الرِّقاعِ علَّمَا

٦٦- كيفَ صلاة الخوفِ والقَصْرُ نُمِيْ ... وآيةُ الحجابِ والتيمُّمِ

٦٧- قِيلَ، ورجْمُهُ اليَهُودِيَّيْنِ ... ومَوْلِدُ السِّبْطِ الرِّضا الحُسَيْنِ

ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أحداث السنة الرابعة للهجرة:

١- ففي شهر صفر كانت حادثة بئر الرجيع، وفيها غدرت بنو لحيان بعشرة من القراء، وقتلوهم، ثم غدر بنو سليم بسبعين من القراء، الذين أرسلهم النبي ﷺ لدعوة أهل نجد للإسلام، فقنت النبي ﷺ يدعو عليهم شهرًا، وسميت هذه الحادثة بحادثة بئر معونة .

٢- وفي شهر ربيعٍ الأول من هذه السنة غزا النبي ﷺ يهود بني النضير؛ لما نقضوا العهد، وحاولوا قتل النبي ﷺ، وأجلاهم من المدينة، وقسّم أرضهم على فقراء المهاجرين .

٣- وفي هذه السنة في شهر ربيع الأول أيضًا، ماتت زينب بنت خزيمة زوج النبي ﷺ .

٤- وفيها كذلك تزوج النبي ﷺ من أم سلمة رضي الله عنها بعد موت زوجها، وكفل أيتامها، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين سنة إحدى وستين.

٥- ثم تزوج النبي ﷺ من زينب بنت جحش في ذي القعدة، بأمر من الله عز وجل؛ ليبطل عادة التبني، بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة؛ وفي حادثة زواجها نزل فرض الحجاب، وقد أولم النبي ﷺ عليها بشاة، وكانت أول نسائه لحوقًا به.

---

١ . أي التي سبق ذكرها .

٦- ثم كانت غزوة بدر الموعد في ذي القعدة، وسميت بذلك؛ لأن مشركي قريش أرادوا أن يثأروا لقتلاهم في بدر، وانتظر النبي ﷺ ثمانية أيام في بدر، لكن قريش قررت الانسحاب .

٧- وبتحريض يهود بني النضير كانت غزوة الخندق - التي ذكر الله أحداثها في سورة الأحزاب -، وهذا قول الزهري ومالك، وقال الجمهور: كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة، وكان عدد المسلمين في هذه الغزوة ثلاثة آلاف، بينما حاصر عشرة آلاف من المشركين المدينة، وغدر يهود بني قريظة، وأحاطوا بالمدينة كذلك، واشتد الحصار، واستمر أربعًا وعشرين ليلة، ثم أرسل الله ريحًا، ففرقت جموع المشركين .

٨- ثم في شوال كانت غزوة بني قريظة؛ بسبب نقضهم العهد، وعلى الأصح كانت في آخر ذي القعدة من السنة الخامسة، وحاصرهم النبي ﷺ خمسًا وعشرين ليلة حتى استسلموا، وأمر بقتل مقاتلتهم من الرجال، وقد استشهد بعد هذه الغزوة سعد بن معاذ رضي الله عنه.

٩- ثم غزا النبي ﷺ غزوة ذات الرقاع إلى نجد لقتال غطفان، وتقطعت خفاف الصحابة رضي الله عنهم، فلفوا الخرق على أرجلهم؛ فسميت ذات الرقاع، ولم يقع فيها قتال، وقد اختار الناظم قول أبي معشر في أنها وقعت بعد بني قريظة والخندق، وذهب ابن إسحاق إلى أنها وقعت بعد النضير وقبل الخندق، واختار البخاري وهو الأصح أنها وقعت بعد خيبر سنة سبع .

١٠- وفي غزوة ذات الرقاع، نزل حكم صلاة الخوف، وشُرع التيمم .

١١- وفي هذه السنة أقام النبي ﷺ حد الرجم على اليهوديين الذين زنيا، بعد أن حاول اليهود إخفاء آية الرجم من التوراة؛ ففضحهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

١٢- ثم ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما، السبط الشهيد، سيد شباب أهل الجنة، قبل تمام السنة من مولد أخيه الحسن رضي الله عنه.

الدرس التاسع:

٦٨- الإفكُ في غزوِ بني المُصْطَلِقِ وكانَ في الخامسةِ اسمَعْ وثِقِ

٦٩- ودُومَةُ الجَنْدَلِ قَبلَ وحَصَل عقْدُ ابنةِ الحارثِ بعدُ واتَّصَل

٧٠- وعَقدُ ريحانةَ في ذي الخامسةْ

ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أحداث السنة الخامسة للهجرة:

١- فذكر أولاً غزوة بني المصطلق (المريسيع)، وفيها أغار النبي ﷺ على بني المصطلق من قبيلة خزاعة، في شعبان من السنة الخامسة، بعد أن علم استعدادهم للهجوم على المدينة، وسباهم جميعًا.

٢- وقبل بلوغه ﷺ المدينة، نزلت السيدة عائشة رضي الله عنها من هودجها، وذهبت لقضاء بعض شأنها، فلما عادت افتقدت عقدًا لها، فأخذت تبحث عنه، وجاء الرجال وحملوا هودجها، وعاد الجيش للمدينة، وبقيت عائشة رضي الله عنها في مكانها، حتى جاء صفوان بن المعطل رضي الله عنه وحملها على بعيره إلى المدينة، فاستغلّ المنافقون هذه الحادثة، وحاكوا قصة الإفك، لكن الله برأ عرض أم المؤمنين رضي الله عنها في سورة النور بعد شهر من الإشاعات، وأقام النبي ﷺ حد القذف على من تكلم في عرض زوجه رضي الله عنها.

٣- وغزا النبي ﷺ غزوة دومة الجندل على حدود الشام والحجاز، في ربيع الأول من السنة الخامسة؛ للتأكيد على قوة المسلمين، ثم بعث النبي ﷺ السرايا في تلك البلاد؛ فلم يقاتلهم أحد .

٤- وعقد النبي ﷺ على جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار - شيخ بني المصطلق-، فلما تزوجها، أطلق الصحابة أسرى بني المصطلق، وقالوا: أصهار النبي ﷺ.

٥- واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه بعد غزوة بني قريظة رَيْحَانة بنت عمرو بن خُنَافة القرظية، وتوفي عنها وهي في ملكه، وقيل: أعتقها وتزوجها، والقول الأول رجحه ابن القيم.

الدرس العاشر:

ثم بنو لِحْيَان بَدْءَ السادسةْ

٧١- وبعدَه استسقاؤُه وذو قَرَدْ وصُدَّ عن عُمرَتِهِ لمَّا قَصَدْ

٧٢- وبيعة الرّضوانِ أوَّلْ وبنَى فيها بِرِيحانَةَ هذا بيّنَا

٧٣- وفُرِضَ الحجُّ بِخُلْفٍ فاسمَعَهْ

ثم ذكر الناظم رحمه الله أحداث السنة السادسة للهجرة :

١- ففي ربيع الأول سنة ٦ هـ خرج النبي ﷺ في مائتين من أصحابه؛ ليثأر من بني لحيان الذين قتلوا أصحابه بالرجيع، وأظهر أنه يريد الشام، ثم أسرع السير إلى حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، وأرسل سراياه، فتفرقت بنو لحيان، وأقام يومين بأرضهم.

٢- ثم كانت غزوة ذي قَرَد، أو غزوة الغابة، وكانت مطاردة لفصيلة من بني فزارة، وقد طاردهم سلمة بن الأكوع، حتى أتى بهم لرسول الله ﷺ .

٣- وفي ذي القعدة من السنة السادسة خرج النبي ﷺ للعمرة بعد رؤيا رآها، وتحاشى لقاء المشركين، حتى بلغ الحديبية، فلم يجد فيها ماء، فدعا بإناء، فتوضأ منه، ثم دعا الله تعالى، ثم صبه فيها، ففاض منها الماء .

٤- ثم توقفت ناقته القصواء عن المسير، فعزم على مصالحة قريش، وأرسل عثمان رضي الله عنه، وأشيع أن قريشًا قتلت عثمان رضي الله عنه، فبايع النبي ﷺ أصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت والصبر وعدم الفرار، وكانوا ألفًا وأربعمائة، ثم لما بلغه أن عثمان رضي الله عنه لم يقتل صالح قريشًا على وقف القتال عشر سنين، وأن يعود إلى المدينة على أن يعتمر السنة المقبلة.

٥- ثم فرض الحج في السنة السادسة، وقيل: في التاسعة، وهو ما رجحه ابن القيم.

الدرس الحادي عشر:

وكانَ فَتْحُ خَيْبَرَ في السابعةْ

٧٤- وحَظْرُ لَحْمِ الحُمُرِ الأهليَّةْ فيها ومُتْعَةُ النِّسَا الرَّوِيَّةْ

٧٥- ثمّ على أمِّ حَبيبةَ عُقِدْ ومَهرُهَا عندَ النجاشيِّ نُقِدْ

٧٦- وسُمَّ في شاةٍ بها هَدِيَّةْ ثمّ اصطفى صَفِيَّةً صَفِيَّةْ

٧٧- ثم أَتَتْ ومَنْ بَقِيْ مُهاجِرًا وعَقْدُ ميمونةَ كانَ الآخِرا

٧٨- وقَبْلُ إسلامُ أبي هُرَيْرَةْ وبعدُ عُمرَةُ القَضَا الشَّهِيرَةْ

٧٩- والرُّسْلَ في محرَّمِ المحرَّمِ أرسلَهُم إلى الملوكِ فاعلمِ

٨٠- وأُهدَيتْ ماريةُ القِبْطِيَّة فيهِ

ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أحداث السنة السابعة للهجرة:

١- فكانت غزوة خيبر في المحرم من السنة السابعة، كما رجحه ابن حجر، وقد حاصرها النبي ﷺ، ثم فتح حصونها حصنًا حصنًا، وقسّم أراضيهم بين المسلمين .

٢- ويوم خيبر نزل تحريم أكل لحم الحمر الأهلية، كما حُرم نكاح المتعة .

٣- وأرسلت له يهودية شاةً مسمومة، فأكل من ذراعها، ثم لفظها، لما أخبره الذراع أنه مسموم، وأثرّ سمه في جسده عليه الصلاة والسلام .

٤- واصطفى النبي ﷺ من السبي صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها - ابنة زعيم اليهود -، فأعتقها، وتزوجها .

٥- وقدم مهاجرو الحبشة -وفيهم الأشعريون- بعد فتح خيبر، يتقدمهم جعفر بن أبي طالب ﷺ، وقدمت معهم قبيلة دوس، وفيهم أبو هريرة ﷺ، وقسَم لهم النبي ﷺ من الغنائم .

٦- ثم اعتمر النبي ﷺ عمرة القضاء في ذي القعدة، وبقي في مكة ثلاثة أيام، عقد فيها على ميمونة بنت الحارث الهلالية - آخر أزواجه - .

٧- وقبل ذلك في محرم من السنة السابعة - وبعد صلح الحديبية- أرسل الرسول ﷺ الرسل إلى ملوك العالم؛ بالشام وفارس ومصر والحبشة والبحرين وغيرها يدعوهم للإسلام، فأما ملك الحبشة والبحرين فأسلما، وأما ملك فارس فقطّع كتاب الرسول ﷺ؛ فمزق الله ملكه، وأما ملك الروم ومصر فهادنا النبي ﷺ، وأرسلا عطاياهما، وكان مما أرسل ملك مصر مارية القبطية، فاتخذها النبي ﷺ ملك يمين، وتسرى بها.

٨- وعقد النبي ﷺ على أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها، وهي بالحبشة، بعد وفاة زوجها عبيد الله بن جحش ﷺ، وأمهرها النجاشي نيابة عن النبي ﷺ أربعمائة دينار.

الدرس الثاني عشر:

وفي الثامنةِ السَّريَّةْ

٨١- لِمُؤْتَةَ سارَتْ وفي الصِّيامْ ... قد كانَ فتحُ البلدِ الحَرامْ

٨٢- وبعده قد أوردُوا ما كان في ... يومِ حنينٍ ثُمَّ يومِ الطَّائِفِ

٨٣- وبعدُ في ذِي القَعدة اعتمارُه ... من الجِعْرَانَةِ واستقرارُه

٨٤- وبنتُهُ زينبُ ماتت ثمّا ... مولِدُ إبراهيمَ فيها حَتْمَا

٨٥- ووهَبَتْ نوبَتَها لعائِشة ... سَودَةُ ما دامت زماناً عائشةْ

٨٦- وعُمِلَ المِنبرُ غيرَ مُخْتَفِ ... وحَجَّ عَتَّابٌ بأهلِ الموقِفِ

ثم ذكر الناظم رحمه الله أحداث السنة الثامنة للهجرة :

١- فقد أرسل النبي ﷺ سرية مؤتة في ثلاثة آلاف مقاتل، بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى أطراف الشام، في جمادى الأول من السنة الثامنة؛ انتقامًا لقتل سفيره من قبل عظيم بصرى، وفيها استشهد القادة الثلاثة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله ابن رواحة رضي الله عنهم، ورجع خالد بن الوليد رضي الله عنه ببقية الجيش.

٢- ثم نقضت قريش صلح الحديبية، فسار النبي ﷺ في رمضان من هذه السنة، وفتح مكة في عشرة آلاف مقاتل، و لم يجدوا قتالاً إلا يسيرًا .

٣- وفي شوال بعد فتح مكة سار النبي ﷺ وأصحابه إلى حنين؛ لقتال ثقيف، في اثني عشر ألف مقاتل، فقاتلهم النبي ﷺ، ففروا وتركوا غنائم كثيرة، ثم حاصر حصونهم في الطائف نصف شهرٍ، ثم تركهم .

٤- ورجع النبي ﷺ إلى مكة في ذي القعدة، وقسم الغنائم بالجعرانة، ثم اعتمر عمرته الثالثة منها .

٥- وفي هذه السنة كذلك ماتت زينب بنت النبي ﷺ .

٦- ولما كبرت سودة رضي الله عنها، وضعفت، وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها .

٧- وأمرت امرأة من الأنصار غلامها النجار أن يصنع منبرًا للنبي ﷺ، فخطب عليه، وترك الجذع، فسُمع للجذع حنين من البكاء، وما سكت حتى ضمّه النبي ﷺ .

٨- وفي ذي الحجة من هذه السنة وُلد للنبي ﷺ إبراهيم رضي الله عنه من سريته مارية القبطية، وحجَّ عتاب بن أسيد رضي الله عنه أمير النبي ﷺ على مكة بالمسلمين، وخالطهم المشركون في حجتهم هذه .

الدرس الثالث عشر:

٨٧- ثم تبوكَ قد غزا في التاسعةْ ... وهدَّ مسجدَ الضِّرَارِ رافِعَهْ

٨٨- وحجَّ بالناسِ أبو بكرٍ وثَمْ ... تلا بَراءةً عَليٌّ وحَكَمْ

٨٩- أن لا يَحُجَّ مُشرِكٌ بعدُ ولا ... يطوفُ عارٍ ذا بأمرٍ فُعِلا

٩٠- وجاءَتِ الوُفودُ فيها تَتْرى ... هذا ومِنْ نِسَاهِ آلى شَهْرا

٩١- ثمَّ النجاشيَّ نَعَى وصلَّى ... عليهِ من طَيْبَةَ نالَ الفَضْلا

ثم ذكر رحمه الله أحداث السنة التاسعة للهجرة :

١- غزا النبي ﷺ في رجب من السنة التاسعة غزوة تبوك (العسرة)؛ لقتال الروم؛ بعد أن بلغه تجهزهم للهجوم على المدينة، و لم يجد فيها قتالاً، بل صالحه أهلها، ودفعوا الجزية، وكان عدد المسلمين في هذه الغزوة ثلاثين ألفًا، ومكث النبي ﷺ في تبوك عشرين يومًا، وفي ذهابه وإيابه ثلاثين يومًا، وقد ذُكرت أحداث كثيرة من هذه الغزوة في سورة التوبة، وهي آخر غزوة قادها النبي ﷺ .

٢- وقبل وصوله ﷺ المدينة نهاه الله تعالى عن الصلاة في مسجد الضرار الذي بناه المنافقون، وأمره بهدمه، فهدمه عليه الصلاة والسلام.

٣- وفي ذي الحجة من هذه السنة أرسل النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه؛ ليحج بالناس، ثم أرسل عقبه عليًا رضي الله عنه، فقرأ سورة براءة، ونادى في الناس ألا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

٤- وفي هذه السنة جاءت الوفود من أنحاء الجزيرة، وكانت أكثر من ستين وفدًا؛ حتى سُمي هذا العام عام الوفود، فمنهم من بايع على الإسلام، ومنهم من بقي على دينه، وأقرّ بالجزية .

٥- وقبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، حلف ألا يدخل على نسائه شهرًا كاملاً؛ زجرًا لهنّ عن الإكثار من طلب التوسعة في النفقة، ثم خيرهنّ بين متاع الدنيا أو يبقين معه على ذات القلة؛ فاخترن جميعهنّ البقاء معه، والصبر على شظف العيش .

٦- ومات في هذه السنة النجاشي (أصحمة)؛ فأخبر النبي ﷺ بموته، وصلى وأصحابه رضي الله عنهم عليه صلاة الغائب.

الدرس الرابع عشر:

٩٢- ومات إبراهيمُ في العامِ الأخيرْ ... والبَجَلِيْ أَسلَمَ واسمُهُ جريرْ

٩٣- وحجَّ حَجَّةَ الوداعِ قارِنا ... ووقفَ الجُمْعةَ فيها آمِنا

٩٤- وأُنزِلتْ في اليومِ بُشرى لكم ... اليومَ أكملتُ لكم دينكُم

٩٥- وموتُ ريحانةَ بعدَ عَوْدِهِ ... والتِّسعُ عِشنَ مُدَّةً من بعدِهِ

٩٦- ويومَ الاثنينِ قَضَى بقينا ... إذ أكملَ الثَّلاثَ والستِّينا

٩٧- والدفنُ في بيتِ ابنةِ الصدّيقِ ... في موضعِ الوفاةِ عن تحقيقِ

٩٨- ومُدَّةُ التَّمريضِ خُمْسَا شهرِ ... وقيلَ بل ثلاثةٌ وخمسٌ فادْرِ

٩٩- وتَمَّتِ الأُرجُوزَةُ المِيئيَّةْ ... في ذِكرِ حالِ أشرفِ البَرِيَّةْ

١٠٠- صلى عليهِ اللهُ ربِّيْ وعلى ... أصحابِهِ وآلِهِ ومَنْ تَلا

ثم ذكر الناظم رحمه الله أحداث السنة العاشرة والحادية عشرة للهجرة:

١- ففي آخر شوال من السنة العاشرة، مات إبراهيم ابن النبي ﷺ، وصادف ذلك كسوف الشمس، فبيّن النبي ﷺ أن الشمس لا تكسف لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكنها آية من آيات الله تعالى؛ يخوّف بها عباده .

٢- ووفد في هذه السنة جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، فبعثه النبي ﷺ إلى ذي الخلصة باليمن ليهدمها؛ فهدمها، وفرح النبي ﷺ بذلك .

٣- ثم في خمس وعشرين من ذي القعدة خرج النبي ﷺ حاجًا حجته الوحيدة، والتي عُرفت بحجة الوداع، ومعه أكثر من مائة ألف من أصحابه، وأحرم النبي ﷺ من ذي الحليفة قارنًا؛ فقرن بين حجته وعمرته في نسك واحد.

٤- وصادف يومُ عرفة يومَ الجمعة، فخطب النبي ﷺ خطبة يوم عرفة، ثم نزل قول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، فكانت بشرى للمسلمين بإكمال الدين، وتمام النعمة .

٥- وبعد عودة النبي ﷺ من حجته ماتت ريحانة القرظية رضي الله عنها، وبقي من نسائه تسعٌ، عشن بعد موته، وذلك بعد موت خديجة وزينب بنت خزيمة في حياته، رضي الله عنهنّ أجمعين .

٦- وبدأ مرض الموت بالنبي ﷺ، فاختار أن ينتقل ليُمرض في بيت عائشة رضي الله عنها، واستمر عليه وجع المرض ثلاثة عشر يومًا في قول الأكثر، وصح الإسناد بأنها عشرة أيام، وقيل: ثمانية أيام .

٧- وفي ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشرة توفي النبي ﷺ، ولقي ربه بعد أن بلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وعمره ثلاث وستون سنة .

٧- ودُفن ﷺ ليلة الأربعاء في موضع موته، بحجرة عائشة رضي الله عنها؛ لأن الأنبياء يدفنون حيث يموتون .

- ثم ختم الناظم رحمه الله بذكر اسم هذه الأرجوزة، وقد سمّاها " الأُرجُوزَةُ المِئيَّةْ في ذِكرِ حالِ أشرفِ البَرِيَّةْ"، ثم بالصلاة والسلام على النبي الكريم، وآله، وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

كان الفراغ من كتابة هذا الشرح
في عصر يوم الأربعاء السابع من شهر
جمادٍ الأول سنة ١٤٣١هـ،
والله أعلى وأعلم

الأَمَالِيُّ الزَّاخِرَةُ

بشرح منظومة:

السير إلى الله

والدار الآخرة

للعلامة السعدي

شرحها :
د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على عبده الذي اصطفى، وعلى آله وصحبه وخلفائه أهل الوفا، وعلى من سار على نهجهم فاتبع واقتفى، أما بعد :

مقدمة عن الناظم:

هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، ولد في القصيم سنة ١٣٠٧هـ، وتربى يتيم الأبوين، وحفظ القرآن وعمره إحدى عشرة سنة، وأخذ العلم عن علماء بلده، حتى صار مرجع التدريس في بلده، من مؤلفاته: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، توفي سنة ١٣٧٦هـ .

مقدمة عن النظم:

يرشدنا الناظم رحمه الله تعالى في هذه المنظومة إلى طريق السعادة الحقيقية، والسعادة الحقيقية الأبدية ما هي إلا بلزوم عتبة العبودية؛ أن يسعد العبد بقربه من مولاه ومحبته له، وبطاعته واتباعه لرسوله ﷺ.

- يقول ابن تيمية رحمه الله: "فطاعة الله ورسوله قطب السعادة التي عليه تدور، ومستقر النجاة الذي عنه لا تحور".[٢]
- وهؤلاء الذين سعدوا في الدنيا بطاعة الله ورسوله ﷺ هم الذين يسعدون يوم القيامة برحمة الله وجنته، قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ }؛[٣] لذا قال رحمه الله تعالى :

---

(٢) مجموع الفتاوى، (٤/١) .
(٣) سورة هود/١٠٨ .

الدرس الخامس عشر:

١- سَعِـدَ الَّذِينَ تَجَـنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى وَتَيَمَّمُـوا لِمَنَـازِلِ الرِّضَـوَانِ

بيّن الناظم رحمه الله في هذه الأبيات عشرين مقامًا من مقامات السعداء، أولها: أن يجتهد العبد في الترقي في منازل الإيمان ودرجات العبودية؛ كما يجتهد في الحذر من التدلي في مواضع السخط وأسباب العذاب.

- يقول الحق سبحانه: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً}،[٤] ويعلق ابن تيمية رحمه الله، فيقول: "وبمجموع هذين الوصفين علق السعادة".[٥]
- وجاء في حديث أنس رضي الله عنه المتفق عليه ما يؤكد هذه الحقيقة، قال: قال رسول الله ﷺ: " ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار" .[٦]
- وسبل الردى التي أشار إليها الناظم تشمل: الكفر، والنفاق، والبدعة، والمعصية، وسوء الخلق، والغفلة؛ والحذر منها إنما يتم بأمرين:

الأول: إدراك هذه المهاوي، ومعرفة خطرها وضررها في الدنيا والآخرة، وإنما يتحقق ذلك بكمال العلم .

والثاني: الاجتهاد في تجنبها، وتجنب أسبابها أو الاقتراب منها.

وكلما كان العبد أكمل إيمانًا وتوحيدًا كلما كان أبعد عن كل شهوة وشبهة، يقول ابن القيم رحمه الله: " وكلما عظم نور هذه الكلمة (أي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله) واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته

---

(٤) سورة النساء/١٢٥ .
(٥) مجموع الفتاوى، (٢٦١/٧) .
(٦) أخرجه البخاري (١٠/١)، ومسلم (٤٨/١) .

وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شـــهوة ولا ذنبًا إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده الذي لم يشرك بالله شيئًا، فأيّ ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته" .[٧]

- وأما منازل الرضوان: فتشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقـــوال والأفعال، ويأتي في كلام الناظم بيان أعظمها .

(٧) مدارج السالكين، (١/٣٣٠) .

الدرس السادس عشر:

٢- فَهُمُ الَّذِينَ أَخلَصُوا فِي مَشيِهِم مُتَشَرِّعِينَ بِشِرعَةِ الإِيمَانِ

المقام الثاني من مقامات السعادة: إخلاص العمل لله، وإسلام الوجه له ابتغاء مرضاته، وبالإخلاص يكون الخلاص.

- قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}.(٨)
- وعند النسائي بسند جيد: قال النبي ﷺ: " إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه".(٩)
- ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله به كبائر"،(١٠) ثم ذكر حديث صاحب البطاقة .

واعلم أن الشرك في الإرادات والنيات بحر لا ساحل له، قلّ من ينجو منه، وإذا أردت أخي الكريم الإخلاص فعليك بأمرين:

الأول: أن تعظم الله عز وجل، وتثني عليه؛ حتى لا يتعاظم مع الله في قلبك أحد من الخلق، فالإخلاص نسيان النظر للخلق بدوام النظر للخالق، يوضح هذا ابن القيم رحمه الله فيقول: "فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص، فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة ... أما ذبح الطمع فيسهله عليك يقينك أنه ليس شيء يطمع فيه إلا هو بيد الله وحده، لا يملكه غيره،

---

(٨) سورة البينة/٥ .
(٩) أخرجه في سننه (٦/٢٥) .
(١٠) منهاج السنة النبوية، (٦/١٣٥) .

ولا يؤتي العبد منه شيئًا سواه، وأما الزهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين، ويضر ذمه ويشين إلا الله وحده".[١١]

والثاني: أن تجعل لك خفايا أعمال؛ لا تُظهرها لعين ولا تُسمعها أذن، فالمخلص من لا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله، ولو ذهبت كل محبة له في صدور الخلق، وكلما عظمت وكثرت أعمال السر كلما كان أقوى في إخلاصك .

والمقام الثالث: مقام التمسك بشرع الله، واتباع رسول الله ﷺ، فبقدر الاتباع يظهر الصدق في المحبة.

- قال تعالى في آية المحنة واختبار صدق المحبة: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.[١٢]
- وفي المقابل يقول نبينا ﷺ:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، متفق عليه.[١٣]
- قال ابن القيم رحمه الله: "أقرب الوسائل إلى الله: ملازمة السنة والوقوف معها في الظاهر والباطن، ودوام الافتقار إلى الله، وإرادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال، وما وصل أحد إلى الله إلا من هذه الثلاثة، وما انقطع عنه أحد إلا بانقطاعه عنها أو عن أحدها"،[١٤] وإنما يتحقق الاتباع الصادق للرسول ﷺ بتحقق أمرين:

---

(١١) الفوائد، ص(١٤٩) .
(١٢) سورة آل عمران/٣١ .
(١٣) أخرجه البخاري، (٢٤١/٣)، ومسلم، (١٣٢/٥) .
(١٤) الفوائد، ص(١٠٨) .

الأول: أن يحرص العبد ما استطاع على تعلم سنة النبي عليه الصلاة والسلام في كل شؤونه وأحواله، وأن يأخذ نفسه بالعمل بها، والسير عليها .

والثاني: أن يتخلص من هواه، وقيود عاداته وعادات مجتمعه؛ فلا يقبل أمرًا مهما صغر إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة؛ فيكون حب الرسول واتباعه أحب إليه من نفسه، وولده، ووالده، والناس أجمعين .

الدرس السابع عشر:

٣- وَهُمُ الَّذينَ بَنَوا مَنَازِلَ سَيرِهِم بَينَ الرَّجَا والخَوفِ للدَيَّانِ

المقام الرابع والخامس: أن يسير العبد إلى الله بجناحي الرجاء والخوف، فالرجاء يدفعه للسير ويحثه، والخوف يحوطه ويمنعه عن الخروج عن جادة السبيل.

- فمدار العبادة على فعل الأوامر وترك النواهي، وفعل الأوامر ينتج عن رجاء غالبًا، وترك النواهي ينتج عن خوف غالبًا، وباجتماعها تتحقق العبودية الحقة.
- يقول تعالى واصفًا أنبيائه ورسله: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}.(١٥)
- وفي حديث أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: "كيف تجدك ؟"، قال: أرجو الله يا رسول الله، وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: "لا يجتمعان (يعني الخوف والرجاء) في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجو، وأمنه من الذي يخاف".(١٦)

وإنما يصدق على العبد هذان الوصفان إذا صدق في اثنتين:

الأولى: أن يملأ سمعه وبصره وقلبه بالنظر فيما اتصف به الله تعالى من صفات الجمال؛ كالعفو والكرم والإحسان، وينظر لشواهد هذا في ملكوت الله تعالى، وأن يُذكّر نفسه بما أعدّه الله لعباده في جنات النعيم، وما ذكره رسوله ﷺ من أجور وفضائل الأعمال؛ وبهذا يعظم رجاؤه في خالقه، ويدفعه

---

(١٥) سورة الأنبياء/٩٠ .

(١٦) أخرجه الترمذي، (٣١١/٣)، وابن ماجه، (٣٢٨/٥) .

هذا الرجاء إلى المسارعة في الأعمال الصالحة، قال ابن القيم رحمه الله "كلما حسن ظنه (أي العبد) حسن عمله".[١٧]

والثانية: أن يملأ سمعه وبصره وقلبه بالنظر فيما اتصف به الله تعالى من صفات الجلال؛ كالعزة والغضب والانتقام من المجرمين، ثم ينظر لشواهد ذلك في ملكوت الله تعالى، وفي القرآن الكريم، وأن يستشعر تقصيره وتفريطه في جنب الله، وأن يُذكّر نفسه بما أعده الله للمكذبين في دركات الجحيم، وما ذُكر في النصوص من عقوبات المعاصي والآثام، فيدفعه ذلك إلى الحذر من معاصي الله واجتنابها؛ فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، قال النبي ﷺ: "والله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية"، متفق عليه.[١٨]

(١٧) المصدر السابق، ص(٢٨) .
(١٨) أخرجه البخاري، (٣١/٨)، ومسلم، (٩٠/٧) .

الدرس الثامن عشر:

٤- وهَمُ الَّذِينَ مَــلاَ الإلــهُ قُــلُوبَهُم بِودَادِهِ وَمَحَــبَّــةِ الرَّحــمَــنِ

المقام السادس من مقامات السائرين إلى الله: أن تمتلئ قلوبهم بحــب الله تعالى حبًا يدفعهم؛ للتقرب إليه بكل ما يحب ويرضى، والبعد عن كــل مــا يسخط ويأبى.

- وقد وصف الله عباده المؤمنين بعلامات الإيمان الصادق فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّــهُ بِقَــوْمٍ يُحِــبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }.[١٩]

- وجمعها النبي ﷺ في ثلاث، فقال: " ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب في الله ويبغض في الله، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئًا"، رواه النسائي بسند صحيح،[٢٠] فلا بدّ من تحقق ولاءات وبراءات من جراء هذه المحبة الصادقة .

- قال ابن تيمية رحمه الله: " فالمحبة تلقي العبد في السير إلى معبــوده، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده".[٢١]

وأسباب محبة الله كثيرة، ذكر منها ابن القيم رحمه الله عشرة أسباب، نذكر منها أمرين:

---

(١٩) سورة المائدة/٥٤ .
(٢٠) أخرجه في سننه، (٩٤/٨) .
(٢١) مجموع الفتاوى، (٩٥/١) .

الأول: أن يتفكر في عظيم صفات الله، وفي جليل برّه وإحسانه؛ فإن الإنسان لا يحب أحدًا من الناس إلا بأحد أمرين: إما لأنه أحسن إليه، وإما لما فيه من الصفات التي تستحق الإجلال والمحبة، والله هو المتفرد بالاتصاف بكمال الصفات الحسنى سبحانه، وهو المتفرد باستقلال الإنعام على عباده.

والثاني: موافقة المحبوب فيما يحبه ويرضاه، وبغض ما يبغضه ويسخطه، فيحب الأعمال الصالحة، ويوالي أهلها بقدر محبة الله لهم، ويبغض ما يبغضه الله، ويعادي أهلها بقدر بغض الله لهم، فليست في قلبه محبة ولا عداوة إلا وهي تابعة لمحبة الله وبغضه، قال بعض الصالحين: مفاوز الدنيا تُقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تُقطع بالقلوب.

الدرس التاسع عشر:

٥- وَهُمُ الَّذِينَ أَكثَـرُوا مِن ذِكـرِهِ فَي السِّرِّ والإِعـلاَنِ والأَحيَـانِ

المقام السابع من مقامات السير إلى الله والدار الآخرة: أن يكون لسان العبد رطبًا بذكر الله تعالى لاهجًا به، فمن أحب شيئًا أكثر من ذكره.

- قال تعالى: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.(٢٢)
- وأوصى النبي ﷺ رجلاً، فقال: "لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله"، رواه أحمد وغيره.(٢٣)
- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة؛ فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمنّ عليك بقلب؛ فإنه لا قلب لك.
- ومن عوّد لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله للذكر أكثر من سبعين فائدة في كتابه الوابل الصيب،(٢٤) وما أجمل كلامه لما قال: "في القلب خلة وفاقة لا يسدَّها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل" .(٢٥)

وإنما يكون العبد من الذاكرين لله تعالى كثيرًا بأمرين:

الأول: أن يحرص على الأذكار التي شرعها رسول الله ﷺ في محالها؛ كذكر النوم، وإجابة المؤذن، ورؤية المبتلى، ونحوها، وقد أجاب بنحو من هذا ابن الصلاح رحمه الله .

---

(٢٢) سورة الجمعة/١٠ .
(٢٣) أخرجه أحمد، (١٨٨/٤)، والترمذي، (٤٥٨/٥)، وابن ماجه، (٧٠٧/٤) .
(٢٤) يراجع ص(٦١-١١١) .
(٢٥) الوابل الصيب، ص(٩١) .

والثاني: أن يُكثر من ذكر الله تعالى في كل أحواله قائمًا، وقاعدًا، وعلى جنبه، في سره وإعلانه، وكل أحيانه، وأن يواطئ قلبه لسانه حال الذكر، قال ابن حجر رحمه الله: "الذكر الكامل: هو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنى، واستحضار عظمة الله تعالى"،[٢٦] ويقول ابن القيم رحمه الله: "وأفضل الذكر وأنفعه: ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده " .[٢٧]

(٢٦) فتح الباري، (٢١٠/١١) .
(٢٧) الفوائد، ص(١٩٢) .

الدرس العشرون:

٦- يتقــرَّبُونَ إلى المَلِيــكِ بفِعــلِهم طَاعَــاتِهِ والتَــركِ لِلعــصــيَانِ

المقام الثامن: التقرب لله تعالى بفعل الطاعة وترك المعصية، وهو حقيقة التقوى، وأصل العبادة، وسر السعادة.

- يقول تعالى في وصف عباده المؤمنين: {أُولَـئِكَ الَّـذِينَ يَـدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَـافُونَ عَذَابَـهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً}.(٢٨)

- وفي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "إن الله تعالى قـال: مـن عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إلى ممـا افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه؛ فـإذا أحببتـه كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يـبطش بهـا، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن اسـتعاذني لأعيذنـه، ومـا ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت، وأنـا أكره مساءته"، رواه البخاري.(٢٩)

والمسارعة إلى الخيرات، ومفارقة المنكرات تحصل بأصلين عظيمين:

الأول: أن تعرف الطاعة من المعصية، والخير من الشر، وتعرف ما لكلٍ منهما من الأجر أو الوزر؛ فيندبك الخير بما فيه إلى فعله والمداومـة عليـه، ويدعوك الشر بما فيه لاجتنابه والحذر منه، قال ابن القيم: "ولا يزال العبـد يعاني الطاعة ويألفها، ويحبها، ويؤثرها؛ حتى يرسل الله سبحانه برحمته عليـه الملائكة تأزه إليها أزًا، وتحرضه عليها، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها، ولا

---

(٢٨) سورة الإسراء/٥٧ .
(٢٩) (١٣١/٨) .

يزال يألف المعاصي ويحبها، ويؤثرها؛ حتى يرسل الله إليه الشياطين فتأزه إليها أزًا" . [٣٠]

والثاني: أن تجمع بين يدي قلبك أصول الخير؛ فتسلكها، وأصول الشر فتحذرها، يقول ابن القيم رحمه الله: "الأصول التي انبنى عليها سعادة العبد ثلاثة، ولكل واحد منها ضدّ، فمن فقد ذلك الأصل حصل على ضده: التوحيد وضده الشرك، والسنة وضدها البدعة، والطاعة وضدها المعصية، ولهذه الثلاثة ضدّ واحد وهو خلو القلب من الرغبة في الله وفيما عنده، ومن الرهبة منه ومما عنده". [٣١]

واعلم أن لله على العبد في كل وقت من أوقاته عبودية تقربه منه؛ فإن شغل وقته بعبودية الوقت تقدم إلى ربه، وإن شغله بهوى أو راحة وبطالة تأخر، قال تعالى: (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) . [٣٢]

---

(٣٠) الجواب الكافي، ص(٥٧) .
(٣١) المصدر السابق، (١٠٨) .
(٣٢) سورة المدثر/٣٧ .

الدرس الواحد والعشرون:

٧- فِعلُ الفَـرَائِضِ وَالنَّـوافِلِ دَأبُهُم مَعَ رُؤيَـةِ التَّقصِـيرِ وَالنُّقصَـانِ

المقام التاسع من منازل السير إلى الله: أن يداوم العبد على فعل الفرائض التي هي أقرب ما يقربه من الله، ويواظب على فعل النوافل التي فيها زيادة القرب من الله؛ فيكون هذا ديدنه ودينه مع استشعار تقصيره وتفريطه، وافتقاره إلى عون معبوده وتوفيقه .

والفقر الحقيقي: دوام الافتقار إلى الله في كل حال، وأن يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة إلى الله تعالى من كل وجه.

- وقد كان من دعاء موسى عليه السلام: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} .(٣٣)
- ومن دعاء نبينا محمد ﷺ: "اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت"، رواه أبو داود.(٣٤)

ومن أكبر ما يعين العبد على مقام الافتقار ورؤية التقصير في عمله أمران:

الأول: النظر في نعم الله وإحسانه عليه، وأنه ما من صالحة يتقرب بها العبد إلى الله إلا هي من فضل الله عليه وتوفيقه له؛ فيظل شاكرًا لله، حامدًا له.

والثاني: تفكره في مواطن الخلل في عباداته وآفاتها، وتقصيره في أدائها على الوجه الأكمل؛ فيظل معترفًا بالنقص والتقصير، ذامًا لنفسه، محتقرًا لها في جنب الله.

يقول ابن القيم رحمه الله: " ونكتة المسألة وسرّها: أنه لا يرى ربه إلا محسنًا، ولا يرى نفسه إلا مسيئًا أو مفرطًا أو مقصرًا؛ فيرى كل ما يسره من فضل ربه عليه وإحسانه إليه، وكل ما يسوءه من ذنوبه وعدل الله فيه" .(٣٥)

---

(٣٣) سورة القصص/٢٤ .
(٣٤) (٤/٤٨٤) .
(٣٥) الفوائد، ص(٣٣) .

الدرس الثاني والعشرون:

٨- صَبَرُوا النَّفُوسَ عَلَى المَكَارِهِ كُلِّهَا شَـوقًا إِلى مَا فِـيهِ مِن إحسَـانِ

المقام العاشر: هو مقام الصبر على ما تكره النفوس؛ وإنما تكره النفوس ما لا يلائمها، والصبر على المكاره هو حبس النفس عن كل ما لا يرضي الله.

- وقد ذكر عز وجل أهل هذه الرتبة العظيمة فقال: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}.[٣٦]
- وعن أنس مرفوعًا: "لا يجد عبدٌ حلاوة الإيمان؛ حتى يعلم أن ما أصابه ما كان ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه"، أخرجه ابن أبي عاصم،[٣٧] وصححه الألباني.[٣٨]

وأعظم الصبر هو الصبر الجميل، قال ابن تيمية رحمه الله: " الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه"،[٣٩] ومن المعيّنات للعبد على مقام الصبر أمران:

الأول: أن يتذكر ما في الصبر من الأجر الذي لا يُعدّ؛ مشتاقًا لفضل الله وثوابه، وقد روى أهل السير والتراجم أن امرأة قطعت إصبعها، فضحكت، فلما سئلت عن سبب ذلك، قالت: حلاوة أجرها أنستني مرارة فقدها .

---

(٣٦) سورة الزمر/١٠ .
(٣٧) في السنة، (١/١١٠) .
(٣٨) ظلال الجنة، (١/٩٣) .
(٣٩) نقله ابن القيم في مدارج السالكين، (٢/١٦٠) .

الثاني: أن يتفكر فيما أنعم الله به عليه، وتفضل عليه من عظيم الآلاء والإحسان، فكم لله عليه من نعمة باقية؛ فيحمد الله على ما بقي ويصبر على ما أخذ، وذاك الرجل الصالح عروة بن الزبير رحمه الله لما قطعت يده، ومات ولده في يوم واحد، قال: اللهم لك الحمد أعطيتني أربعة أطراف؛ فأخذت واحدًا، وأبقيت ثلاثة فلك الحمد، وأعطيتني أربعة أبناء؛ فأخذت واحدًا، وأبقيت ثلاثة فلك الحمد، وهذه هي الدرجة الأولى من درجات العبودية عند وقوع المكاره، وأما الدرجة الثانية؛ فهي:

الدرس الثالث والعشرون:

٩- نَزَلُوا بِمَنــزِلَةِ الرِّضَــا فَهُم بِهَا قَد أَصبَــحُــوا فِي جَــنَّةٍ وَأَمَــانِ

المقام الحادي عشر من مقامات السائرين إلى الله: مقام الرضا؛ فيرضى بما قسم الله له، وقدره عليه، فليس في نفس العبد المؤمن إلا الرضا بما دبّره له رب العالمين.

- وفي مثل هذه المنزلة الرفيعة يقول الله سبحانه: {قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.(٤٠)
- وقال النبي ﷺ:" ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً"، رواه مسلم.(٤١)

وإنما يرتقي العبد إلى مقام الرضا بأمرين عظيمين :

الأول: أن يعلم أن ما قدره الله لا مردّ له؛ فلا غالب لأمره، ولا مبدل لحكمه؛ فيسلم ويرضى، وإنما تثبت قدم الإسلام على عتبة التسليم والاستسلام .

والثاني: أن يرى ما في قدر الله من لطف؛ فما من أمرٍ يقدره الله إلا لحكمة بالغة، وفيه من ألطاف الله ما يجعل العبد يرضى بالله ويسلم، وبذا ينال العبد رتبة اليقين، ومن ضعف اليقين: أن ترُضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله لا يجرّه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، وهذه هي المرتبة الثانية من درجات العبودية عند وقوع المكاره، وأما الدرجة الثالثة؛ فهي:

---

(٤٠) سورة المائدة/١١٩ .
(٤١) في صحيحه (٤٦/١) .

الدرس الرابع والعشرون:

١٠- شَكَرُوا الَّذِي أَولَى الخَلَائِقَ فَضلَهُ بِالقَلبِ وَالأَقوَالِ وَالأَركَانِ

المقام الثاني عشر: مقام الشكر، والإيمان نصف صبر، ونصف شكر، قال ابن القيم رحمه الله: "ولا يتم الإيمان إلا بالصبر والشكر؛ فإن رأس الشكر التوحيد، ورأس الصبر ترك إجابة داعي الهوى".(٤٢)

- وفي مقام الشكر يقول سبحانه: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}.(٤٣)
- ويقول النبي ﷺ: " المؤمن بخير على كل حال؛ تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل"، رواه النسائي.(٤٤)

والشكر رتبة عظيمة من رتب السائرين إلى الله، وشكر الله يتوجه في حالين:

الأولى: حال النعمة؛ فيحمد الله على نعمه التي لا تحصى، وشكر الله على نعمه: شكرٌ بالقلب بالفرح والاستبشار بفضله، وشكرٌ باللسان بالثناء الجميل عليه سبحانه، وشكرٌ بالجوارح بتسخير النعم في مراضي الله تعالى .

والثانية: حال الضراء، وهي مرتبة من مراتب الأصفياء الأولياء، فيشكر الله تعالى على ما قدره عليه من خير أو شر، وهذا ابن المنكدر رحمه الله -وقد قال له رجل: إني أرثي لك من هذه القرحة التي برجلك -، فقال: "لكني أحمد الله منذ يوم خرجت على أربع: أحمد الله على أنها لم تكن أكبر

---

(٤٢) الفوائد، ص(١٣١) .
(٤٣) سورة سبأ/١٣ .
(٤٤) في سننه، (١٢/٤) .

من هذه، وأحمد الله تعالى على أنها لم تخرج في عيني، وأحمد الله تعالى على أنها لم تكن في ديني، وأحمد الله تعالى على أن رزقني حمده وشكره"، فلله الفضل والمنة أولاً وآخرًا، ومن استشعر في مصائبه هذه الأربع وجد مرتبة الشكر عند المكاره .

الدرس الخامس والعشرون:

١١- صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِم مَع بّـذلِ جَـهدٍ فِي رِضَا الرَّحمَنِ

المقام الثالث عشر من مقامات السعداء: التوكل على الله في جميع الأمور، فالتوكل أعظم منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله.

والتوكل: هو تفويض الأمر لله تعالى، بعد بذل الجهد في القيام بالأسباب المشروعة؛ فيعتمد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، ولا يلتفت إلى المخلوقين ولا يتعلق بالأسباب، فالمتوكل لا يسأل غير الله، ولا يعترض على أمرٍ قضاه الله، ولا يبخل بشيءٍ فيه رضا الله.

- وقد قال تعالى في أمثال هؤلاء: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}.(٤٥)

- وهؤلاء هم الذين مدحهم الرسول ﷺ - بل خصّهم بكونهم يدخلون الجنة بغير حساب - فقال عنهم: "هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون"، متفق عليه.(٤٦)

وبين العبد وبين القيام بمقام التوكل درجتان :

الأولى: تفويض الأمر لله تعالى، قال ابن القيم رحمه الله: "والتوكل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله، وحسن اختياره لعبده، وثقته به، ورضاه بما

---

(٤٥) سورة الأنفال/٢ .

(٤٦) أخرجه البخاري (١٧٤/٧)، ومسلم، (١٣٧/١) .

يفعله به، ويختاره له"،[٤٧] وقال أبو إسماعيل الأنصاري رحمه الله: "التوكل هو كلة الأمر إلى مالكه، والتعويل على وكالته".[٤٨]

ولا يكون ذلك إلا باستشعار آثار ربوبية الله تعالى في ملكوته، فكلما كان العبد أكثر تأملاً في ملكوت الله وكفايته لأوليائه الصالحين كلما عظم توكله على خالقه، وقد قيل لحاتم الأصم رحمه الله: علام بنيت أمرك هذا من التوكل؟ قال: على أربع خلال: علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فلست أهتم به، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري، فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة، فأنا أبادره، وعلمت أني بعين الله في كل حال، فأنا مستحٍ منه .

والثاني: عدم رؤية السبب بعد عمله، فالوقوف مع الأسباب صحيح من جهة القيام بها، وفاسد من جهة الاعتماد عليها أو الوقوف عندها، فكن كما قال النبي ﷺ: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز".[٤٩]

---

(٤٧) **الفوائد، ص(٧٠) .**
(٤٨) **مدارج السالكين، (١٢٦/٢) .**
(٤٩) **أخرجه مسلم، (٥٦/٨) .**

الدرس السادس والعشرون:

١٢- عَبَدُوا الإِلَهَ عَلَى اعتِقَادِ حُضُورِهِ فَتَبَـوَّءوا فِي مَنـــزِلِ الإِحسَـانِ

المقام الرابع عشر: مقام الإحسان، والإحسان مرتبة عظيمة من مراتب الدين، وأجمل ما يُعرّف به ما فسّره نبينا ﷺ إذ قال - وقد سئل عن الإحسان -: " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، رواه مسلم.(٥٠)

- قال تعالى عن المحسنين: {إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}.(٥١)

وللإحسان مرتبتان:

أعلاهما: مرتبة الاستحضار: أن تعبد الله كأنك تراه، وإنما يحصل ذلك بمطالعة ما اتصف به الرب سبحانه من صفات الكمال ونعوت الجلال.(٥٢)

المرتبة الثانية: مرتبة الإطلاع: فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فيأتي على قلبه بالمشارطة، ثم المجاهدة، ثم المراقبة، ثم المحاسبة، ثم المعاتبة حتى تزكو له نفسه، قال النبي ﷺ :" ثلاث من فعلهن فقد طعِم طعم الإيمان: من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة ولا الشرط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم؛ فإن الله لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره، وزكى نفسه"، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: " أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان" .(٥٣)

---

(٥٠) سورة الأنفال/٢ .
(٥١) سورة النحل/١٢٨ .
(٥٢) مدارج السالكين، لابن القيم، (٣/٢٢١-٢٢٢) .
(٥٣) ينظر: السلسلة الصحيحة، للألباني، (٣/١٢٠) .

الدرس السابع والعشرون:

١٣- نَصَحُوا الخَلِيقَةَ فِي رِضَا مَحبُوبِهِم بِالعِلمِ وَالإِرشَادِ وَالإِحسَانِ

المقام الخامس عشر: مقام النصيحة للخلق في رضا الرب سبحانه، والنصيحة هي حيازة الخير للغير.

- وقد وصف الله بها أنبيائه ورسله، فهذا نوح عليه السلام؛ أول رسل الله يقول لقومه: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.(٥٤)

- وعن جرير رضي الله عنه قال: بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، رواه البخاري ومسلم.(٥٥)

وإذا أراد العبد أن يتمثل مقام النصيحة فليسلك هذين الأمرين:

الأول: أن يُعلّم الناس ويرشدهم إلى ما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم، وأحبّ العباد لله أنصحهم لخلقه، فيخطب أو يكتب أو يُدرِس أو يُعلِم ابتغاء رضا الله في نصيحة خلقه، وقد قال ﷺ: " الدين النصيحة"، ثلاثًا قلنا: لمن ؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"، رواه مسلم.(٥٦)

والثاني: أن يحسن إليهم بخُلقه، وماله، وجاهه، ووقته، وقوته، فيعينهم على فعل الطاعات، وييسر أسبابها لهم، ويأخذ بأيديهم عن المنكرات، ويبعد ذرائعها عنهم، وهذه السعادة في معاملة الناس، قال ابن تيمية رحمه الله:

---

(٥٤) سورة الأعراف/٦٢ .
(٥٥) أخرجه البخاري، (١٣٩/١)، ومسلم، (٥٤/١) .
(٥٦) أخرجه مسلم، (٥٣/١) .

"والسعادة في معاملة الخلق: أن تعاملهم لله؛ فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافئتهم، وتكف عن ظلمهم خوفًا من الله لا منهم "،[٥٧] وهذا أحسن ما يكون في مصاحبة الناس، وهو المقام السادس عشر :

(٥٧) مجموع الفتاوى، (٥١/١) .

الدرس الثامن والعشرون:

١٤- صَحِبُوا الخَلاَئِقَ بِالجُسُومِ وَإِنَّمَا أَروَاحُهُم فِي مَنزِلٍ فَوقَانِي

المقام الذي يليه: مصاحبة الناس فيما ينفع واعتزالهم فيما لا يفيد؛ فيسلك معهم وبهم ما يقربه وإياهم إلى الله تعالى.

- قال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً }.(٥٨)
- ويوصينا رسولنا ﷺ فيقول:" لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي"، رواه أبو داود.(٥٩)

والواجب في هذا الباب معرفتان:

الأولى: أن تعلم أن مخالطة الناس على أقسام: الأول: من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه، وهم العلماء بالله تعالى وأمره، الناصحون لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولخلقه، والثاني: من مخالطته كالدواء يحتاج إليه عند المرض، فما دمت صحيحًا فلا حاجة لك في خلطته، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات ونحوها، القسم الثالث: وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه، فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن؛ وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا، ومنهم من مخالطته كوجع الضرس أو حمى البدن، وأما القسم الرابع: من مخالطته الهلاك كله، ومخالطته بمنزلة أكل السمّ، وهم أهل البدع والضلالة، الصادون عن سنة رسول الله الداعون إلى خلافها.(٦٠)

---

(٥٨) سورة الكهف/٦٦ .
(٥٩) أخرجه أبو داود، (٤٠٧/٤)، والترمذي، (٦٠٠/٤) .
(٦٠) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، (٤٩٨/٢-٤٩٩) .

والثاني: أن تعلم أن " الاجتماع بالإخوان قسمان: أحدهما اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت، فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت، الثاني: الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها، ولكن فيه ثلاث آفات: أحداها: تزين بعضهم لبعض، الثانية: الكلام والخلطة أكثر من الحاجة، الثالثة: أن يصير ذلك شهوة وعادة، ينقطع بها عن المقصود".[٦١]

(٦١) المصدر السابق، ص(٥١) .

الدرس التاسع والعشرون:

١٥- بِاللهِ دَعَـوَاتُ الخَـلاَئِـقِ كُلِّهَا خَوفًـا عَلَى الإِيمَـانِ مِن نُقصَـانِ

المقام السابع عشر: مقام الدعاء، وهو طلب الحاجات من رب الأرض والسماوات سبحانه.

فتنطرح بين يدي الله وتسال الله تعالى من فضله؛ فإن الفضل كل الفضل بيد الله، وليس بينك وبين الله إلا أن تسأله مما في يديه فيعطيك، والله يقلب عبده بين السراء والضراء؛ ليستخرج منه مكنون التضرع والدعاء.

- وقد قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}.(٦٢)
- وقال النبي ﷺ:" الدعاء هو العبادة"، رواه أحمد.(٦٣)
- إذا تقرر ذلك فاعلم أن أفضل الدعاء ما بيّنه ابن القيم رحمه الله بقوله: "إذا اجتمع عليه قلبه، وصدقت ضرورته وفاقته، وقوي رجاؤه فلا يكاد يردّ دعاؤه".(٦٤)

ويتأكد الدعاء من العبد في موضعين:

الأول: موضع سؤال الله حاجات الدنيا، من رزق وعافية وولد، وأعظم منه سؤال الله حاجات الدين؛ من هداية ومغفرة؛ فيستحضر أمله في الله؛ خوفًا من النفاق وسوء الختام، وشوقًا إلى درجات الجنان ولقاء الرحمن؛ فيعظم دعاؤه وتعظم مناجاته .

---

(٦٢) سورة البقرة/١٨٦ .
(٦٣) أخرجه أحمد، (٢٦٧/٤)، وأبو داود، (٥٥١/١)، والترمذي، (٢١١/٥)، وابن ماجه، (٥/٥) .
(٦٤) الفوائد، ص(٤٧) .

الثاني: موضع الضراء والكرب، إذا ضاق الأمر وعظم الخطب، وتولى الصاحب وبارت الحيل، وأجمل منه دعاء الله حال السراء، قال النبي ﷺ: "من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب؛ فليكثر الدعاء في الرخاء"، رواه الترمذي.(٦٥)

(٦٥) في جامعه، (٤٦٢/٥) .

الدرس الثلاثون:

١٦- عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا قَـــد فرَّغُـــوهَا مِن سِوَى الرَّحمَـــنِ

المقام الثامن عشر: الإنابة إلى الله وحده، والمنيب إلى الله: هو من أقبـــل على الله بكليته، وأعرض عما سواه.

- قال تعالى في وصف أهل جنته: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ}،(٦٦) قال ابن عباس رضي الله عنه في معنى (منيب): "راجعٌ عن معاصي الله، مقبلٌ على طاعة الله".
- وهذا رسولنا ﷺ يعلم البراء رضي الله عنه إذا أوى إلى فراشـــه أن يقول: "اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهـــري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابـــك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت"، متفق عليه.(٦٧)

والإنابة عبادة قلبية عظيمة اختصّ الله بها عباده المتقين، وحقيقة الإنابـــة تتمثل في شيئين:

الأول: أن حقيقة الإنابة: عكوف القلب علـــى طاعـــة الله، ومحبتـــه، والإقبال عليه، فهي عكوفٌ من القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ﷺ.

واعلم أن القلب إن لم يسجد لله سجد لغيره، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة، فتعلق القلب بغير الله، واشتغاله بـــه،

---

(٦٦) سورة ق/٣٣ .

(٦٧) أخرجه البخاري، (٧١/١)، ومسلم، (٧٧/٨) .

والركون إليه عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام .

والثاني: أن يقطع العبد كل ما يشغله عن سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة، وأصل ذلك ترك الفضول التي تشغل عن المقصود من الطعام والشراب والمنام والخلطة؛ فيأخذ من ذلك ما يعينه على طلبه، ويرفض منه ما يقطعه عنه أو يضعف طلبه . (٦٨)

ثم اعلم أنه إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد من تركها لغير الله، فأما من تركها صادقًا مخلصًا من قلبه لله؛ فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة؛ ليُمتحن أصادق هو في تركها أم كاذب؛ فإن صبر على تلك المشقة قليلاً استحالت لذة .

---

(٦٨) **الفوائد، ص(١٤٤-١٤٥)** .

الدرس الواحد والثلاثون:

١٧- حَرَكَاتُهُم وَهُمُومُهُم وَغُزُومُهُم لله لاَ لِلخَـــلقِ وَالشَّيـــطَانِ

المقام التاسع عشر: أن تتوجه الحركات واللفظـات والإرادات إلى الله تعالى، وما يقرّب إليه.

- وقد مدح الله بذلك خليله إبراهيم فقال: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّـهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}،(٦٩) والحنيف المقبل على الله، المعرض عما سواه.
- وروي عن نبينا ﷺ أنه قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به"، قال النووي في أربعينه: "حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح".(٧٠)

وإنما يحصل هذا بأمرين جليلين :

أولهما: أن ينصرف عن حب ثناء الخلق، أو الاستدراج مع خطوات الشيطان؛ ليتوحد طريق السير إلى الله والدار الآخرة؛ فيعلم أنهما عدوان له؛ فيأخذ الأهبة للدفاع عن إيمانه، وثباته في سيره إلى هدفه .

والثاني: أن يصلح الأفكار والخواطر، فإن " مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار؛ فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإيرادات، والإيرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة؛ فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار، وفسادها بفسادها"، ثم يواصل ابن القيم فيقول: "ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح

---

(٦٩) سورة النحل/١٢٠ .

(٧٠) عند الحديث الحادي والأربعين .

الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصـــلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد؛ فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعـــني باب كل شر، ومن فكر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه ".[٧١]

(٧١) الفوائد، ص(١٧٣-١٧٥) .

الدرس الثاني والثلاثون:

١٨- نِعمَ الرَفِيقُ لِطَالِبِ السُّبلِ التِي تُفضِـي إِلَى الخَيرَاتِ وَالإِحسَانِ

المقام العشرون: المداومة على هذه المقامات العلية، ومجاهدة النفس في الثبات عليها؛ فإن للنفس إقبال وإدبار، وهمة وفتور، والسعيد من كانت خاتمته السعادة.

- قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}.(٧٢)
- وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}.(٧٣)
- وقال النبي ﷺ: "وإنما الأعمال بالخواتيم"، أخرجه البخاري.(٧٤)

وهذه المقامات التي أرشد إليها الناظم رحمه الله خير دليل لطريق الحق، وأرشد سبيل لرضا لرب الخلق، وهي تهدي السالك عليها إلى أمرين :

الأول: إلى سائر الخيرات مما يحبه الله تعالى؛ من توحيد، وسنة، وطاعة، وحسن خلق.

والثاني: أنها تهدي العبد للإحسان في جانب عبادة الله، والإحسان فيها: هو كمال القيام بالعبادات الظاهرة والباطنة، وإلى الإحسان في جانب حقوق الخلق، والإحسان فيها: ببذل المعروف ونشره، وكف الأذى ومنعه.

---

(٧٢) سورة العنكبوت/٦٩ .
(٧٣) سورة محمد/١٧ .
(٧٤) في صحيحه، (١٥٥/٨) .

فالله نسأل أن يهدينا رشدنا، وأن يلهمنا ما يحب ويرضى، ويلزمنا كلمة التقوى، ويثبتنا على العروة الوثقى، وأن يحرّم أجسادنا على النار؛ فإن أجسادنا على النار لا تقوى؛ إنه أهل المغفرة وأهل التقوى، سميع النجوى، وصلى الله وسلم على خير خلقه وختام رسله؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تم هذا الشرح
عصر يوم الثلاثاء
٢٩ من شعبان ١٤٢٨هـ،

هذا الكتاب منشور في

العنـــوان : اليمن - حضـــرموت - شـــبام - مـدينة الحـــوطة
هـــاتـف : ٤٢٠٨٩٠ ٠٥ جـــوال : ٧٧١٦٢٢٣٩٨
حســـابنا على بنك سبأ الاسـلامي : ٨٧٦٩٠
E-mail : ahel.q@hotmail.com